

## الفصل التاسع والسبعون

### لا تحاول تغيير الناس

لا يمكن لبضعة ديدان أن تنال من نضوج عقل.

فريدريش نيتشه

لا تعدو الرغبة في تغيير الآخرين كونها تبديداً للطاقة! حسبك أن تقدم نفسك مثلاً يُحتذى، وإذا لم يقتد بك الآخرون، امض في طريقك ببساطة. الحياة قصيرة، فلا تضيعها بالسعي إلى تغيير الآخرين.

الأشخاص من حولنا يعكسوننا نحن، فعندما يزعجك أمر ما في أحدٍ ممن حولك، كثيراً ما تكون هذه الخصلة موجودة فيك أيضاً، ولا تحبّها. ربما يعكس الشخص المعني نقیض إحدى صفاتك، ويحرص على التعويض الضروري. إذا كنت، على سبيل المثال، مغالياً في الترتيب والتنظيم، فإنك تتعرّف أحياناً إلى إنسان في منتهى الفوضوية، بحيث تتعلّم عدم المغالاة في مسألة النظام. أو يكون الأمر ببساطة مؤشراً إلى أنه آن الأوان للتخلّص من هذا الشخص والمضي في سبيلك.

كانت لورا تعاني مشكلات كبيرة مع زوجها. وما كان يثير جنونها هو أنه يعدّ نفسه محقاً على الدوام. عندما تقول مثلاً: "يجب أن ننعطف يساراً"، يردّ: "أعرف". وإذا أعطته نصيحة، يردّ: "أعرف". وقد أصبحت الأمور التافهة في هذه الأثناء كافية لإثارة الشجار بين الاثنين. وقد خلصنا، لورا وأنا، إلى أنه كان لدى لورا حاجة إلى الاستحسان. كلما كان زوجها يجيب بعبارة "أعرف"، كانت تشعر أنها تافهة ولا قيمة لها. طلبتُ إليها أن تشرح الوضع لزوجها، فجلستُ معه، ووصلتُ إلى نتيجة مفاجئة. فقد كان زوجها يحترمها ويقدرُ نصائحها كثيراً، وحينما يقول "أعرف"، كان يقصد في الواقع "أنت محقّة".

عندما تحدثنا هاتفياً في المرة القادمة سألتني: "لماذا لا يستطيع، إذاً، أن يقول ما يقصد؟". فأوضحتُ لها ألا معنى لأي محاولة لتغييره، وأن عليها، بدلاً من ذلك، أن تركز على المضمون الحقيقي لما يقول، فإذا ردَّ عليها زوجها بقوله "أعرف"، عليها أن تترجم قوله إلى "أنت محقّة". وربما هذا ما أنقذ زواجها، فهي تشعر اليوم أنها تلقى الاحترام من زوجها، وقد تحرّرت من قلقها وتخوّفها المستمر من أن يتفوّه بشيء خاطئ ثانيةً، ويتسبّب في شعورها بالإهانة الرهيبة.

تعلّم من الآخرين، عزيزي القارئ، إنما لا تحاول تغييرهم أبداً. خير لك أن توفر طاقتك لحياتك الخاصة، فأنت أيضاً ترغب في النهاية في أن يتقبلك الآخرون كما أنت. إذاً: تصرف كمثل يُحتذى، واقلب الآخرين كما هم، فربما تستطيع أن تتعلّم أيضاً التعامل مع أخطاء الغير.

